

الشيخ يوسف الهدوي

(١٨٩٨-١٩٥٩)

سيرته



ولد فرانسيس (هذا كان اسمه) في باروس من جاورجيوس وماريا عام ١٨٩٨. في سن المراهقة ذهب للعمل في بيراوس وبقي يعمل في لافريو إلى أن انضم إلى القوات البحرية لإداء خدمة الوطن.

في سن الثالث والعشرين ابتدأ يقرأ كتب الآباء القديسين، الأمر الذي شكّل نقطة تحول في حياة فرانسيس. إذ إن هذه المسير وحلماً أبصره ذات مره دفعاه إلى اقتبال الحياة الرهبانية. فابتدأ بالصلاة والصوم في الضيع القريبة غير المأهولة ومن هناك انتقل إلى جبل آتوس.

كان الشاب فرانسيس ينشد اقتناء الصلاة القلبية ولكنه لم يجد أباً روحياً يستطيع أن يعلمه إياها عوض ذلك وجد لامبالاة عند الرهبان إزاء مطلبه.

في خضم هذا البحث، اختبر رؤية للنور غير المخلوق اخترق قلبه ووجهه الصلاة القلبية. كان الشاب فرانسيس دائم التجوال في الجبل يمضي وقته في أماكن منعزلة لتلاوة صلاة يسوع. في إحدى المرات، على قمة جبل آتوس، التقى الأب أرسانيوس الذي أصبح رفيقه في النضال وكانا يتوقان سوية إلى الهدوية. أخذاً بالتفتيش عن أبٍ روحي مختبر يستطيع مساعدتهم. ولم يمضِ عليهما وقت طويل حتى تعرّفا إلى الشيخ أفرام صانع البراميل المقيم في كاتوناكيا في كوخ البشارة.

رتبا حياتهما هناك للحصول على أكثر هدوء ممكن لتلاوة صلاة يسوع.

كان الشيخ يوسف، إضافة إلى عمله اليومي وقانون صلاته، يلتجئ إلى كهف عند مغيب الشمس لتلاوة صلاة يسوع ست ساعات. بعد فترة وجيزة، نظراً لعدم تمكنهما من الحصول على الهدوء الكافي في كوخ البشارة، انتقلا والشيخ أفرام إلى ناحية القديس باسيليوس حيث رقد الشيخ. منذ ذلك الحين أمضيا، الأب يوسف والأب أرسانيوس، الصيف متجوّلين في جبل آتوس. وفي الشتاء عادا إلى ناحية القديس باسيليوس. كانا يملكان فقط ثيابهما الرهبانية. كان الأب يوسف يأكل القليل من الخبز اليابس في اليوم مع بعض الأعشاب البرية المسلوقة أحياناً. في هذه الفترة حورب

الأب يوسف بشهوة الجسد مدة ثماني سنين ضاعف خلالها جهاداته من أصوام وأسهار وصلوات إلى أن انتصر بنعمة الله على هذه الشهوة ولم يعد يخالجه أي شعور بذاك الهوى. في هذه الفترة تعرفا إلى أب روعي مختبر في النسك والهدوئية هو الأب دانيال.

وبمرور الزمن ازدادت شهرة الأب يوسف الذي أصبح أباً روحياً للشركة التي اقتبلت ثلاثة رهبان.

عام ١٩٣٨، وفي محاولة لإيجاد هدوء أكبر انتقل والشركة إلى ناحية كوخ القديسة حنة حيث نمت الشركة إلى سبعة رهبان. كان العيش هناك صعباً جداً وخالياً من كل تعزية. جاهد هناك الرهبان الجدد بإرشاد الشيخ لإقتناء الصلاة القلبية. كانوا يصنعون الصلبان الخشبية الصغيرة من الخشب، ومن إيرادها كانت الشركة تعيش وتوزع الحسنات. لم يكن الشيخ يوسف يسمح لنفسه بأي تعزية، كما لم يتخل عن نمط نسكه رغم ضعف جسده.

بعد حوالي ثلاث عشرة سنة ونظراً للجهاد الجسدي الكبير المطلوب من الرهبان للعيش في اسقيط القديسة حنة، مرض معظم الآباء. هذا دفع الأب يوسف إلى نقل الشركة إلى الإسقيط الجديد. هناك رقد في ١٥ آب عام ١٩٥٩.



من أقواله

✠ كلنا بشر، مولودون من تراب. كلنا أئمناء. نحن طين، جهلة. طين يسرق طيناً. طين يحقر طيناً. طين يهين طيناً. طين يتعجرف على طين. طين يستغني بالطين. طين يتسلط على الطين. طين يضرب طيناً. طين يسجن طيناً. وبعمامة: طين يعتبر ذاته أحكم وأقوى وأغنى وأنبأ وأكرم من الطين. يجمع غنى في غبائه وجهله لوجوده الذاتي. لا يبالي من أين أتى ولا إلى أين هو ذاهب ولا كيف ولد ولا ما هو القصد منه ولا أين سينتهي به المطاف ولا ماذا سيحدث له بعد ذلك.

✠ عليك أن تقتني مخافة الله زينة دائمة، والتواضع ثوباً خفياً، وملبسة الكمال حماية قوية، وملاك نفسك حارساً ومرشداً، وطيب نفسك وجسدك العذري عطراً

✠ حين تدنو لنتمّم فرضك - أي لتصلّي - ادنُ بتواضع عظيم ملتصقاً رحمة الرب، لا لأنه مدين لك بالنعمة بل لأنك أسير يلتصق العنق مئة.

✠ يتبرك الأهل بأولادهم إن خلصوا. والسيرة المضيئة للأبناء تسمي للأهل مصباحاً إذ يُعطون نعمة. فإن نعمة الرهبان تنفع عيالهم حتى إلى الجيل السابع.

✠ قياس عطية الله، صغيرة كانت أم كبيرة، رهن بمحبّتك له، ما إذا كانت صغيرة أم كبيرة.

❖ الكل أكاذيب. الكل خداع. يخدعنا، يمكر بنا، يلهو بنا. يُظهر لنا سنين ومواهب وصحةً مديدة، ثم فجأة يلقانا الموت. كل هذه الأمور تنكسر كالفقايع وتتمزق كخيوط العنكبوت. هذه هي بهجة العالم.



المرجع:

❖ الأرشمندريت توما (بيطار) (٢٠٠١)، سيرة ورسائل الشيخ يوسف الهدوي الآثوسي، لبنان، منشورات التراث الأبائي